الحلقه (١)

علم النحو وما المراد به؟

كلمة النحو في الأصل من ناحية اللغة هي مصدر لقولك نحوت بمعنى اتجهت

وأما في الاصطلاح: هو علم يعرف بأنه قواعد وأصول تعرف بها حال الكلمة من حيث أحقيتها في الإعراب أو في البناء، وإذا كانت مبنية فما علامة بنائها، وإذا كانت معربة فما علامة إعرابها سواء كانت بحركة أصلية أم فرعية.

هذا العلم كان يعرف قبل بعلم العربية، وتغيرت تسميته في القرن الهجري الأول وأصبح يعرف بعلم النحو، وكان مع هذا العلم مجموعة من العلوم الأخرى، في بداية الأمر كان خليطاً بين كل من علوم العربية من الأدب والتاريخ والأشعار، وإن كان النصيب الأوفر للنحو ولقواعد النحو، هذا حاله في بداية الأمر.

تعريف النحو

النحو: يعرف به أصول وأحوال الكلمة العربية أو أواخر الكلمة أيضا وترتيب الكلام وما تستحقه من إعراب أو بناء.

ما أهمية هذا العلم ؟

يحتاج إليه كثير من المتحدثين بهذه اللغة ذات المنزلة العالية التي يكفيها شرفا نزول القرآن الكريم بها

وبهذا احتلت المكانة والمنزلة العالية بين لغات العالم كما أن الله سبحانه وتعالى كتب لها البقاء لقوله سبحانه وتعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أثنى على كتابه بأنه واضح لا لبس فيه في مواضع كثيرة: في قوله سبحانه وتعالى على سبيل المثال: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }، وقال تعالى: { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ }، وقال سبحانه وتعالى { لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} كما قال الله سبحانه وتعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا } ولذلك فإن اللحن عوج والخطأ في قواعد النحو يعد من اللحن وقد برئ كتاب الله سبحانه وتعالى من وجود هذا اللحن.

فالناس سواء كانوا متحدثين أم كتابا أم مؤلفين كلهم بحاجة إلى هذا العلم حتى تستقيم ألسنتهم وأقلامهم، ولذلك إن كل من يتحدث باللغة العربية بحاجة إلى تعلم هذا العلم على اختلاف حاجتهم، فمنهم من يحتاج إلى شيء كثير جدا، وهم المختصون، ومنهم من يحتاج إلى شيء قليل من الكثير، ومنهم من يحتاج إلى مجرد إقامة لسانه فكل له حاجة وكل على قدر حاجته.

ونظرا إلى حاجة طالب علم الشريعة إليه وإلى تعلم هذا العلم، فطالب علم الشريعة إما مختص بالفقه أو التفسير أو العقيدة أو الحديث فكل واحد من هؤلاء يحتاج إلى كثير من الأحيان إلى أن تكون كتابته وكلامه وتأليفه وتحريره ملتزم بقواعد هذه اللغة فلابد له من تعلم أصولها.

وقد وردت أحاديث ولكنها ضعيفة، ومما ذكر بعضهم حديث موضوع: أن رجلا لحن بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: أرشدوا أخاكم فقد ضل، وهذا الحديث موضوع وليس له أصل فلذلك لا يعتد به.

بينما قد ورد عن السلف رحمهم الله الحث على تعلم هذه اللغة وبيان منزلتها ومكانتها، ومن ذلك

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "**تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة**" وقوله أيضا: "**تعلموا الفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن**" ومقصوده بكلمة اللحن هنا هو تعلم أصول اللغة العربية.

ومما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: " **المرء مخبوءٌ تحت لسانه**" يعني أنه إذا تكلم ظهرت منزلته إما في الفصاحة أو في غير الفصاحة وهو مخبوء تحت لسانه بمجرد أن يتكلم سيفصح عن هذا اللسان بمنزلته ومكانته في اللغة أو بانحداره في اللغة.

ومما ينسب إليه رضي الله عنه أنه قال بيتين من الشعر:

النحو يصلِح من لسان الألكن   والمرء تعظمه إذا لم يلحن
فـإذا طلبت من العلوم أجلّها   فأجلّها منها مقيم الألسـن

الذي يقيم الألسن ويجعلها مستقيمة خالية من اللحن والعوج هو أجل العلوم.

ومما لاشك فيه أن طلبة علوم الشريعة يحتاجون إلى هذا العلم وبحاجة قوية وماسة، فعلى سبيل المثال

المفسر :حينما ينظر في آيات الله سبحانه وتعالى ويسمع قول الله عز وجل { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فينظر في هذه الآية الكريمة وإذا المفعول به مقدم على الفاعل وجوبا، ماذا لأن الفاعل محصور بإنما لذا وجب تأخيره، وإلا فحق الفاعل أن يتقدم على المفعول به؛ ولو أن جاهلا قرأها { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } بضم الله وفتح العلماء لكان عرضة للسخرية والاستهزاء؛ وفي الوقت نفسه ستكون زلة كبيرة من عالم مختص في علوم الشريعة؛ لذا لابد للعالم أو طالب علوم الشريعة أن يكون ملما بهذا العلم ومدركا لأموره مقدرا لما يحتاجه هذا العلم من بيان.

وأيضا مما روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: "من لحن في القرآن فقد كذب على الله" لو أن قارئا قرأ آية { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ولفظ كلمة العلماء بالفتح لكان هذا كذبا على الله عز وجل ولكانت زلة عظيمة يقع فيها هذا القارئ.

ومما يذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كان يقول "**لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان وصارت معرفته من الدين**"

وقال رحمه الله: "**معلوم أن تعلم العربية وتعليمها فرض على الكفاية، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه فيحفظ لنا طريق فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها فلو ترك الناس على لحنهم لكان نقصا وعيبا**".

كما أن علماء الشريعة يشترطون في المجتهد عدة أمور: ومنها أن يكون ملماً بالعربية عارفاً بما تقتضيه هذه اللغة من مجاز وحقيقة وبما يتضمن الكلام العربي من الإجمال والإبانة، وأيضا بما يتضمنه من الدلالة على العموم والخصوص، ومعرفة الاستثناء والمستثنى والمستثنى منه والحال والصفة، وهذه كلها قيود في الجملة العربية لابد لطالب العلم الشرعي أن يكون ملما عارفا بها.

انظر إلى المفسر الذي يفسر آيات الله سبحانه وتعالى إذا لم يكن عالما باللغة العربية ولا مطلعا على ماتستحقه هذه اللغة من معرفة بمحتوياتها وخاصة بما تضمنته معاجمها فإنه وبلا شك سيزل في كثير من الأحيان في تفسير كلام الله سبحانه وتعالى فربما وقع في خلاف ما أراده الله سبحانه وتعالى؛ ومن هنا تأتي أهمية معرفة هذه اللغة ومعرفة قواعدها، فإذا لم يكن يعرف أن حكم المبتدأ أن يكون مرفوعا، وحكم الخبر أن يكون مرفوعا، أيضا وحكم الحال أن يكون منصوبا، وحكم المستثنى له حالات متعددة، وهكذا حكم الصفة أن تتبع الموصوف، وحكم بقية التوابع أنها تتبع متبوعاتها، كالعطف والبدل والتأكيد تتبعها في حركاتها، إذا لم يكن يعرف هذا فإنه سيقع في خلل كبير وسيكون هذا أمرا شنيعا وفظيعا بالنسبة له.

هناك علاقة وطيدة بين علم أصول الفقه وعلم النحو العربي وقواعد اللغة العربية في مواطن كثيرة من هذا العلمين حيث يتفق هذان العلمان اتفاقا قويا وشديدا في التعريفات، فكثير من التعريفات في هذين العلمين متساوية.

فنحن إذا أردنا أن نكون محققين لما تتطلبه منا علوم الشريعة سواء في التفسير أو في الحديث أو في التوحيد والعقيدة فإنه لابد لنا أن نعرف مما تتضمنه هذه اللغة وما تحتاج إليه من علوم، وأن نتوسع فيها بقدر الإمكان؛ وبدون شك أنه ليس المطلوب أن نكون كالمختصين في هذه اللغة؛ فالمختصون لهم جوانب يتميزون بها ولابد أن يكونوا متوسعين فيها، ولكن أيضا غير المختص وبخاصة طلبة العلم الشرعي يجب أن يكون عندهم القدر الكافي مما يجعلهم قادرين على فهم نصوص الشريعة لأن هذه اللغة أداة لفهم نصوص الشريعة وفهم مراد الشارع صلى الله عليه وسلم فيما نقله عن ربه عز وجل، فلابد من إتقان هذه اللغة وإعطائها حقها.

وهناك من الناس من يرى أن كثيرا من علماء الشريعة حصيلتهم في اللغة العربية ضعيفة وليست بتلك؛ ولكن في الحقيقة لو تتبعنا علماءنا، لوجدتهم على قدر كبير من معرفة هذه اللغة، بالإحصاء ربما تبين أنه لا يبدع في علوم الشريعة إلا من كانت حصيلته من اللغة واسعة وافرة فإذا كانت حصيلته ضئيلة فبدون شك سيكون تحصيله وإفادته للآخرين في علوم الشريعة على قدر حصيلته من علوم اللغة، وسيكون ضعيفا فيما هو محتاج إليه، وانظر إلى تراجم علماءنا السابقين " الأئمة الأربعة" الإمام أبو حنيفة النعمان ؛الإمام أحمد بن حنبل؛ الإمام مالك؛ والإمام الشافعي ماذا يقول عنهم وعن حصيلتهم في ناحية علوم الشريعة وكيف أنهم متمكنون ومتبحرون ؛ وحصيلتهم في العلوم كبيرة جدا.

وكذلك المعاصرون رحمهم الله ومنهم الشيخ عبد العزيز بن باز ؛ والشيخ محمد بن عثيمين وغيرهم فبدون شك حين الاستماع إليهم سيسر خاطرك وقلبك وستعلم أنهم على علم وافر ومكانة عالية، ولذلك فإنما يقال عن العلماء السابقين كانت حصيلتهم في الناحية اللغوية ضئيلة، فإن هذا كلام مردود عليه، كما أن هناك بعض الكتب مثل كتب التراجم وكتب الطبقات توجد فيها في تراجم هؤلاء السابقين أنهم كانوا يجمعون بين علوم كثيرة ومن أول ما يجمعون منها هي علوم اللغة العربية.

فإن الاهتمام بهذا العلم وبذل الجهد في سبيل تحصيله قضية مهمة جدا لابد لطالب العلم الشرعي بذل قصار جهده في تحصيلها؛ وخاصة طلب العلم الشرعي عليهم مسؤولية كبيرة في هذا الجانب.

ونقلا عن بعض الكتب المتعلقة بهذا الموضوع

•**أن ابن عباس رضي الله عنهما** كان يُضرب إليه أكباد الإبل ليسأله الناس عن علوم اللغة العربية بالذات فضلا على أنه كان ترجمان القرآن رضي الله عنه ومع ذلك كان يفتي في مسائل متعلقة باللغة العربية وبشعرها ونثرها.

• **يقال أنه سئل الحسن البصري "ما تقول في قوم يتعلمون العربية فقال: أحسن يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم".**

•**وما قيل عن رجل أنه قال لبنيه " أصلحوا ألسنتكم فإن الرجل تنوبه النائبة -أي تحل به مشكلة- يحب أن يتجمل أمام الناس فيستعير دابته ويستعير ثوبه ولكنه لا يستطيع أن يجد من يعيره لسانه.**

•**وما قاله الشاعر في شرف هذه اللغة وعلو مكانتها وعظم منزلتها**

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه   إذا هو أبدى ما يقول من الفم
وكا إن ترى من صامت لك   معجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده   فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

•فهذا كله يدل على ما تحتله هذه اللغة من مكانة عالية ويدلنا أيضا على أن طالب العلم الشرعي بالذات يحتاج حاجة ماسة

إلى تعلم هذا العلم وإتقانه، وحجم المسؤولية عليهم كبيرة لأنهم هم الذين يبلغون عن الله سبحانه وتعالى فلابد أن يبلغوا بلاغا صحيحا دقيقا.